وسطًا بين الإبداع الفني الذي يَقْبلونه وقيم الدين التي يحافظون عليها ، ولا يجدون حرجًا في قبول الأول والمحافظة على الثاني . فقد رَوى المبرد أن ابن الأزرق أتى ابنَ عباس يسائله ، ودخل عمر بن أبي ربيعة على ابن عباس فَسلَّم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا من شعرك ، فأنشده :

أ مِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غادٍ فَمُبْكِرُ غَداةَ غَدٍ أَمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ

حتى أتم القصيدة وهي ثمانون بيتًا ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت ، يا ابن عباس ! أ نضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتُعرض ، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهًا فتسمعه ؟ فقال : تالله ما سمعتُ سفهًا ، فقال ابن الأزرق : أ ما أنشدك :

رَأَتْ رَجُلاً أَمّا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ فَيَخْزى ، وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخْسَرُ ؟

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال (فَيَضْحى ، وأما بالعشيِّ فَيَخْصَرُ) قال : أ وتحفظ الذي قال ؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه ، ولو شئتَ أن أردَّها لرددتها [1] .

وتبدو التفرقةُ بين الموقف الديني والتقييم الفني متمثلة في إعجاب عبد الملك بشعراء الغزل الحجازيين ، وتمييز ابن أبي ربيعة عليهم ، عندما اجتمع ببابه عُمر وكُثَيِّر وجَميل فأذن لهم ، ثم استنشدهم فأنشد جميل :

حَلَفْتُ يَمينًا يا بُثَيْنَةُ صادِقًا فَإِنْ كُنْتُ فيها كاذِبًا فَعَمِيتُ
إذا كانَ جِلْدٌ غَيْرُ جِلْدِكِ مَسَّني وَباشَرَني دونَ الشِّعارِ شَرِيتُ
وَلَوْ أَنَّ راقي المَوْتِ يَرْقي جِنازَتي بِمَنْطِقِها في النّاطِقينَ حَيِيتُ

(١) المبرد : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .